



بين الرجاء والخوف

المحاضرات

محاضرة في الأردن

2020-01-20

عمان

الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وعلى صحابته الغر الميامين أمناء دعوته وقادة ألويته وارضنا وعنهم يا رب العالمين. اليوم موضوعنا يتبع موضوع اللقاء السابق في بناء النفس لكن اليوم القضية أخص، الموضوع أخص من عموميات بناء النفس، الموضوع اليوم الخوف والرجاء، هذه الثنائية كثيراً ما نسمع بها ثنائية الخوف والرجاء، هل المؤمن أقرب إلى الخوف أم أقرب إلى الرجاء، متى يكون الرجاء؟ متى يكون الخوف؟ كيف يكون التلازم بينهما؟ ترى أحياناً إنساناً مبالغاً بالخوف إلى حد اليأس من رحمة الله، وترى في المقابل إنساناً مبالغاً في الرجاء إلى حد الاستهانة بحرمات الله والعياذ بالله، فهذه القضية في بناء النفس لابد من التوازن فيها، أولاً يقول تعالى يصف ملائكته وعباده المقربين ورسله يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْدُورًا

(سورة الإسراء: الآية 57)

فوصفهم بأنهم يرجون رحمة الله وأنهم في الوقت نفسه يخافون عذاب الله، معاً في الوقت نفسه، في آية ثانية يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَبٰى عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْعَفْوَٰرُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ

(سورة الحجر: الآية 49-50)

التلازم بين الخوف والرجاء

أيضاً هذا تلازم، يعني لا تنههم فقط أن الله غفور رحيم فينساهلوا في الطاعات ويكثروا من المعاصي والآثام وبهملوا التوبة، لا، (وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) فكما أن الله غفور رحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا نُّمَّ أَهْتَدَىٰ

(سورة طه: الآية 82)

فإنه في الوقت نفسه جل جلاله عنده عذاب أليم لمن أصر على الكفر والعصيان وما إلى ذلك، هذا أيضاً من باب التوازن، إذا نظرنا في أسماء الله الحسنى (وإِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَن أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)

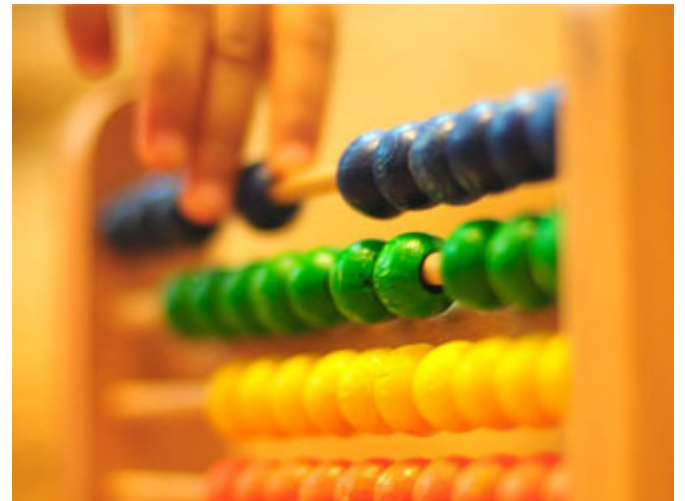
{ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَن أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) {
(رواه البخاري ومسلم)

الإحصاء هو العلم ببواطن الأمور

أولاً: أخواننا : الإحصاء غير العد، والدليل في سورة مريم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا

(سورة مريم: الآية 94)



الإحصاء يختلف عن العد

لو كان الإحصاء هو العد ما كان هناك معنى أحصاهم وعددهم، العد أمر سهل جداً، يعني أنت تقول كم طالب في الصف؟ إثنان وأربعون، هذا عد فقط، أما الإحصاء: كم طالب عنده مشكلة في بيته؟ كم طالب أمه مطلقة؟ كم طالب يحتاج إلى دعم في الدروس؟ كم طالب ضعيف في الرياضيات؟ كم طالب متفوق في المواد الأدبية؟ الآن أنت تحصي، فالإحصاء هو العلم ليس بالعدد فقط وإنما ببواطن الأمور، فلما قال عن الأسماء الحسنى، قال: (مَن أَحْصَاهَا)، ما قال: من عدّها، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

(سورة الحشر: الآية 23)

هنا لا يكفي العد، الإحصاء يعني أن يعمل بمقتضاها، هذا معنى قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا

(سورة الأعراف: الآية 180)



أن تأخذ من هذه الأسماء نصيباً

المعنى المتبادر إلى الذهن وهو صحيح أن تقول: يا غفور اغفر لي، فأنت دعوت الله باسم الغفور أن يغفر لك، يا رحيم ارحمني، هذا دعاء بأسماء الله الحسنى، المعنى الأعمق الذي قاله العلماء: (ولِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا) قال: أن تأخذ من هذا الاسم نصيباً لك، فإذا كان الله تعالى سَتِيراً فأنت هل تعمل بالستر أم تفضح الناس؟ هل تستر نفسك أم تفضحها؟ إذا رأيت من أخيك زلّة هل تسترها وكأنك لم ترها أم تشيعها بين الناس؟ فأنت عندما تتخلق بخلق الستر فأنت دعوت الله باسمه السَتِير، الله عفو، هل تعفو عن الناس أم تقيم عليهم التكبير وتأخذ حقك كاملاً ولا تقبل العفو أبداً؟ فالله عفو وينبغي أن تأخذ أنت شيئاً من العفو جل جلاله، هذا المعنى الثاني، فنحن عندما ننظر في أسماء الله الحسنى نجد هناك أسماء متعلقة بالرجاء وأسماء متعلقة بالخوف، فأنت إذا سمعت الحليم، رجاء، يحلم جل جلاله على عباده، الغفور، الغفار، العفو، التواب، الكريم، هذه أسماء الرجاء، لكن في الوقت نفسه الله قوي، ومبين، وقادر ومقتدر، وجبار، وقهار، وعزیز، وعليم، وخبير، فإذاً هناك توازن حتى في الأسماء الحسنى، بين أسماء تقرأها فتشعر ببراءة رحمة الله، وأسماء تقرأها فتشعر بالخوف من الله، لأنه يراقب، الرقيب براك، أيضاً هذا توازن، إذا نظرنا أيضاً في آيات أخرى قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّهُمْ كَانُوا يُبْتَارُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا

(سورة الأنبياء: الآية 90)

وقدّم الرغب على الرهب، رغبةً بما عند الله ورهبةً وخوفاً مما عنده من عذاب (رغَبًا وَرَهَبًا)، وفي آية ثانية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا

هنا قَدِّمِ الخوفَ (خَوْفًا وَطَمَعًا) خوفًا من عذابه، وطمعًا برحمته وبمغفرته وبنجته، هذا مجمل الآيات تتحدث عن التوازن بين الرجاء والخوف.

أجمل ما قيل في الخوف والرجاء



الخوف والرجاء جناحان

من أدق وأجمل ما قيل في الخوف والرجاء عن بعض السلف قالوا: "الإنسان في سيره إلى الله كالطائر، رأسه الحُب، وجناحه رجاءٌ وخوفٌ"، فنحن نظير إلى الله بجناحي الرجاء والخوف، الطائر إذا ما لم فيه جناحٌ عن الآخر، فوراً يرجع يستوي، هل يطير الطائر إلى هدفه بجناح واحد؟! لا بد من الإثنين معاً، كلاهما مطلبان، الخوف وحده لا يطير الطائر، وبالرجاء وحده لا يطير، لكن الصابغ في الرجاء والخوف هو الرأس وهو الحُب، فأنت تحبه وأنت تخافه، وأنت تحبه وأنت ترجو ما عنده معاً، هذا رأس الطائر، فطائر بلا رأس ليس له وجود أصلاً نهائياً، لا بد من الحُب، وطائرٌ يطير بحب من غير رجاء وخوف هذا يعني: قالوا تزدق، لأنها تسقط التكليف، هؤلاء بعض الغلاة، نحن نحب الله، تحب الله؟ أين الرجاء والخوف؟ تحتاج إلى جناحين حتى تطير إليه، والذي يكتفي بجناح واحد يقع أيضاً في: إما الوقوع في المحرمات إذا غلب جانب الرجاء أو الوقوع في اليأس والتشدد إذا غلب جانب الخوف، فلا بد من الجناحين ولا بد من الرأس، هذا من أجمل ما تكلم به السلف عن قضية الرجاء والخوف.

إذاً أخواننا الكرام: نحن نظير إلى الله رجاء ما عنده وخوفاً من عذابه معاً، أحياناً الإنسان بحالة الصحة قوي، الحمد لله صحته جيدة وليس به مرض وكل الأمور تمام، يغلب عليه جانب الرجاء من غير أن يشعر، فلا بد أن يتذكر الخوف من الله، لأن الله تعالى يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ * أَن رَّآهُ اسْتَعْتَى

(سورة العلق: الآية 6-7)

بشرى كبيرة لمن يجمع الرجاء والخوف في داخله

عندما يقوى ويشتد وصحته جيدة، وأمواله جيدة، من غير أن يشعر، بعقله الباطن، قد لا يقولها بلسانه، لكن هو يشعر أنه مستغن عن الله والعياذ بالله، من غير أن يشعر، الأمور جيدة ومأشبهة، فيغلب فيه جانب الرجاء فيقع في المعاصي، فلا بد لمن وهبه الله صحةً وقوةً أن يُغلب جانب الخوف، يدخله دائماً في حسابه، أما إذا جاء المرض، نسال الله السلامة، لكن ربنا عز وجل يتبلي عباد، إذا جاء المرض جاء الضعف، جاء الفقر، هنا يُغلب جانب الرجاء فيقوى إيمانه ويشتد، فيتوازن، يعود إلى توازنه، من هذا المعنى:

{ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ وَإِنِّي أَخَافُ نَوْبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ }

(صحيح الترمذي)



إذا اجتمع الرجاء والخوف في قلبك

(وهو في الموت) يعني ينازع يحتضر، النبي صلى الله عليه وسلم انظروا إلى رفته صلى الله عليه وسلم يزور أصحابه في بيوتهم، فزار هذا الشاب، فقال كيف تجدك؟ يعني كيف حالك؟ كيف تجد نفسك؟ كيف أنت؟ قال: واللّه يا رسول الله إني أرجو الله وأني أخاف ذنوبي، أرجو الله، وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان، أي الخوف والرجاء، في قلب عبيد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف، يعني إذا اجتمع الرجاء والخوف في قلبك فالله تعالى يعطيك ما رجوت ويأمنك مما خفت، وهذا معنى عظيم جداً ويشيرى كبيرة لمن يجمع الرجاء والخوف في داخله.
أيضاً معنى مماثل:

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: (قال الله عز وجل: وعزّيتي وخالتي، لا أجمع على عبيد خوفين، ولا أجمع له أمتين؛ إن أمتني في الدنيا

أخفتني يوم القيامة، وإن خاقتني في الدنيا أمتته يوم القيامة {

(تخريج منهاج القاصدين)

الخوف من الله فيه حب

عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: يقول تعالى في الحديث القدسي: وعزّيتي لا أجمع على عبيد خوفين، ولا أجمع على عبيد أمتين، إنه إذا أمتني في الدنيا أخفتني يوم القيامة، وإذا خاقتني في الدنيا أمتته يوم القيامة، فالمؤمن يخاف من الله فيأمن، لذلك قلت لكم: حتى الخوف من الله فيه حب، الحب لا يسقط لا بالخوف ولا بالرجاء، نحن بحالة الدنيا إذا إنسان خائف من إنسان لا يكون يحبه غالباً، قد يخاف من أبيه ويحبه ممكن، لأن الأب رحيم ودود لله المثل الأعلى، الله ضرب المثل قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ

(سورة البلد: الآية 3)



رحمة الأب والأم من رحمة الله

رحمة الأب من رحمة الله، رحمة الأم من رحمة الله، فقد تخاف من أبيك وأنت ترجوه وأنت تحبه، لكن في الأعم الغالب من الناس إذا كنت تخاف من إنسان فأنت لا تحبه، مع الله تخافه حباً وترجوه حباً، لذلك إذا أوى المسلم إلى فراشه في دعاء ما قبل النوم في بعض الأدعية النبوية يقول: لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك.

{ عن البراء ابن عازب أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهَا إِذَا أُوتِيَ إِلَى فَرَاشِكَ فَإِنَّ مِنْهُ لَيْلَتِكَ مِنْ عَلَى الْفِطْرَةِ وَإِنْ أَصَبَتْ أَصَبَتْ وَفَدَّ أَصَبَتْ خَيْرًا تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَسَلِمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ طَهْرِي إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ أَمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ قَالَ الْبَرَاءُ: فَقُلْتُ: وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ قَالَ: فَطَعَنَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي ثُمَّ قَالَ: وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ }

(سنن الترمذي)



حتى الأم تعاقب ابنها حين يعصياها

ذكر ابن قيم رحمه الله قصة لطيفة لكن نراها واقعاً كثيراً، قال: كنت أسير في بعض سكك المدينة، يعني يمشي في الحارات، في الأزقة، قال: فإذا بابٌ قد فتح وخرج منه طفلٌ يبكي وأمه تصرخ عليه، فخرج خائف من والدته، فخرج وهو يبكي فأغلقت الباب في وجهه، أغلقت الباب ودخلت، منزعة منه جداً، قال: نظرتُ إليه فإذا هو قد ذهب بعيداً، يتعدى، ثم وقف فأطرق قليلاً، إلى أين سأذهب يجب أن أعود، قال: فأدار وجهه فرجع وجلس على عتبة الباب، قال: ففتحت أمه الباب فوجدته على العتبة، فأخذته وجعلت تضمه وتقبله وتنشمه وتقول: يا بني لا تحملني بمعصيتك لي على مخالفة ما جبلت عليه من الرحمة بك والشفقة عليك وإرادة الخير لك، قال ابن قيم: فتعلمت من ذلك درساً، لا تحملني بمعصيتك لي على مخالفة ما جبلت عليه من الرحمة بك، فالله تعالى يرحم عباده ويحبهم ويغفر لهم، لكن رحمته قد تقتضي أحياناً أن يسوق للمذنبين بعض العقاب، لِمَا خاطب إبراهيم أباه ماذا قال؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا

(سورة مريم: الآية 45)

السياق يقتضي أنني (أخافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الْجَبَّارِ، لكن (عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ)؟! نعم، لأن الرحمن تقتضي رحمته أن يعذب أحياناً، وأن يقسو أحياناً، قال الشاعر:
فَلْيَقْسُوا أَحْيَاناً، الأب أحياناً يقسو على ابنه وهو يحبه، ولله المثل الأعلى، فأنا الذي أقوله هذا رأس الطائر هو الحب، فأنت في خوفك تحبه وفي رجائك تحبه، وهذا معنى قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ

(سورة الرحمن: الآية 78)

معنى ذو الجلال والإكرام



معنى ذو الجلال والإكرام

بالمناسبة لماذا (ذي) و(ذو)؟ (تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي) لأن الوصف لربك فجاء بالجر، هو الرب هو ذي الجلال والإكرام، وجاءت ذي بالجر وصفاً للرب، (رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ)، ما معنى (ذو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)؟ سأضرب مثلاً من واقعنا: أحياناً أنت لك جدة، جدتك تحبها حباً جماً، وتدخل إلى البيت وأنت ربما تكون قد أخذت دكتوراه في علوم الفلك، مثلاً، تدخل إليها فتتزل على يدها وتقبلها، ما تفكر تقول والله أنا معي شهادة وأقبل يد جدتي بالعكس تشعر بالود والاحترام، وهي أمية لا تقرأ ولا تكتب، لكنك تحبها حباً جماً، بالوقت نفسه عندك دكتور في الجامعة يدرس مادة مهمة، تقول: والله هذا الدكتور سيء جداً ولثيم الخلق ولا أحبه أبداً، لكن يا أحي عالم، فأنت تجله ولا تحبه، وجدتك تحبها لكن تعلم أنها لا تعلم شيئاً من أمور الدنيا، أما ربنا جل جلاله فإنك تحبه بقدر ما تُعظمه وتُجلّه، وتعظمه بقدر ما تحبه وتجله، فهو ذو الجلال وذو الإكرام، فبالإكرام تحبه وبالجلال تعظمه، وهذا لا يجتمع إلا لله جل جلاله، فهو بقدر عظمته بقدر إكرامه لك، أحياناً العظيم يستنكف أن يكرمك، له مكانته الكبيرة، فقال: (تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) فهو صاحب جلال جل جلاله تعظمه وصاحب إكرام فتحبه، معاً، هذا أيضاً من باب الخوف والرجاء.

فأخواننا الكرام:

إذا نعود، الخوف والرجاء، انظروا الآن: الله تعالى في القرآن الكريم في سورة الإنفطار يخاطب الإنسان يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَّلَكَ

(سورة الانفطار: الآية 6-7)

الإغترار والتساهل في الطاعات

(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) هو كريم جل جلاله لكن يقول له: (مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) يخاطب قلبه، ثم يخاطب عقله فوراً (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَّلَكَ) ما الذي عَزَّكَ به؟ ما الذي جعلك تغتر بحلمه وعفوه فتتساهل في طاعته؟ لا ينبغي أن تغتر بحلمه فتتساهل في طاعته، هذا يُعد عن الحق، وهذا غرور، لأنك تنظن شيئاً بخلاف ما هو عليه، وسأضرب مثلاً للتوضيح ولله المثل الأعلى: طالب في جامعة له صديق ولكنه غير عاقل، رآه يدرس مادة، والمادة كبيرة كتاب ستمئة صفحة فتحه ويدرّس به، قال له: لماذا تدرس؟ هذا دكتور المادة يبيع المادة بيعاً، تعطيه ألف دينار فلا يصح الورقة، ويعطيك فوراً تسعين بالمنة، لا تدرس، وتجهد نفسك، هذا الدكتور يرتشي بأخذ رشوة، فالطالب اطمئن وترك الكتاب ولم يدرس شيئاً، فجاء الإمتحان، في يوم الإمتحان وضع في جيبه ألف دينار وذهب إلى بيت دكتور الجامعة وطرق بابه وهو يحمل الطرف في يده وقال: دكتور أنا طالب عندك، قال له: أهلاً وسهلاً، فأعطاه الطرف، فقام الدكتور بصفحه على وجهه وطرده شراً طردة، لم يعد بإمكانه أن يدرس للإمتحان، المادة غداً، وتبين أن الدكتور جدي ويعاقب ويجاسب، (مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) ربنا عز وجل كريم، طبعاً كريم، وعفو وغفور، لكن لا تترك الصلاة ونقول: عفو غفور، لا نظلم الناس ونقول: عفو غفور، ما تتساهل في الطاعات وتأتي المحرمات ونقول: ربنا كريم جل جلاله،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۗ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ

(سورة المائدة: الآية 18)



الإعترار أن تظن شيئاً فتتفاجأ بشيء آخر والمسلمون إذا قالوا: (تَحَنُّنُ آبَاءِ اللَّهِ وَأَجَابُهُ)، أيضاً (قَلِمَ بَعْدَكُمْ يَدُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ) الله تعالى ليس بينه وبين عباده نسبٌ إلا التقوى، فهذا الإعترار، الإعترار أن تظن شيئاً فتتفاجأ بشيء آخر، فلا تظن بالله إلا خيراً، لكن دون أن تعصيه، قال: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عِبْدِي بِي، قَلِيطُنَّ بِي مَا سَاءَ»

{ وعن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عِبْدِي بِي، قَلِيطُنَّ بِي مَا سَاءَ» }

(رواه أحمد)

نحن نظن أن الله برحم، ونظن أنه يعفر، ونظن أنه يسامح، ولكن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَبُؤُوتِ الرَّكَاةِ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ

(سورة الأعراف: الآية 156)



رحمة الله واسعة

هي واسعة، يعني أنا إذا قلت هذا المكان يتسع لخمسين إنسان لكن تحتاج إلى بطاقة من الخارج تأخذها فتدخل فجاء شخص ولم يشتري البطاقة، فقلنا له لا تستطيع الدخول إلى القاعة، فقال لم تمنعوني؟ ألم تقولوا أن القاعة تتسع؟ تتسع لكن تحتاج إلى بطاقة، أنت لم تأت بالبطاقة،

{ كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قال: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى }

(صحيح البخاري)

هو رفض ذلك فهذا هو المعنى في الخوف والرجاء.

أمثلة عن الخوف عند الصحابة

الآن لو جئنا إلى الأمثلة التطبيقية ودائماً المثال بوضوح، والقصة حقيقة مع البرهان عليها لأن فيها أشخاص، أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو من هو، وهو المبشر بالجنة، يعني ضمن الجنة بيشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: أبو بكر في الجنة، انتهى، ورغم ذلك كان يمسك بلسانه ويقول: "هذا الذي أوردني الموارد"، هذا اللسان هو الذي أوردني الموارد، يعني الهلاك، وهو أبو بكر! كان يبكي كثيراً ويقول: "ابكوا فإن لم تبكوا فتابكوا"، قرأ يوماً سورة الطور حتى إذا بلغ قوله تعالى: (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) بكى واشتد بكاءه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ

(سورة الطور: الآية 7)

عمر رضي الله عنه وأرضاه قال لابنه وهو على فراش الموت وبكك ضع خدي على الأرض علَّ الله يرحمني، ثم قال: بل ويل أُمِّي إن لم يغفر الله لي، وعمر عملاق الإسلام فتح الله به الفتوحات.

عثمان رضي الله عنه كان إذا وقف على قبر بكى حتى يبلى القبر بدموعه، وحتى يبلى لحيته بدموعه. بكى أبو هريرة يوماً، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أما إني لا أبكي على دُنْيَاكُمْ هَذِهِ، الدنيا انتهت، وليكني أبكي لِبُعْدِ سَقَرِي وَقَلَّةِ رَادِي، بعد السفر وقلة الزاد، أصبحت في ضَعُودٍ مهبطه، طالع نازل بالعامية، فلا أدري إلى جنة أو نار فلا أدري إلى أيهما يُشَلِّكُ بي.

فاطمة بنت عبد الملك زوج عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، قالت: ما رأيت أحداً أشدَّ قَرَقاً، شدة الخوف، القَرَقُ، فرقاً من ربه من عمر، كان إذا صلب العشاء جلس في المسجد ثم يرفع يديه، فلم يزل يبكي حتى تغلبه عيناه، قالت: وبكى يوماً فبكى أهل الدار، ما يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء، فلما أصبحت قالت: بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين مما بكيك؟ قال: ذكرت منصور القوم بين يدي الله تعالى فريئ في الجنة وفريئ في السعير، فلما ذكر وقوفه بين يدي الله بكى، السؤال هنا، نحن اليوم مطمئنون وهم كانوا على كل ما هم فيه من العمل كانوا خائفين من الله، ونحن على كل ما نفعله مطمئنون، فباترى هل نحن المحقون باطمئناناً أم هم المحقون بخوفهم؟ هم المحقون بخوفهم لأن الإنسان كلما عظم مقام الله في عينه خاف منه جل جلاله، أعود وأقول خوفاً مقروناً بالحب لا خوفاً يدفع إلى اليأس وترك العمل، لأن اليأس يقترب من الكفر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنَ الْكَاؤُورِ

(سورة يوسف: الآية 87)

ضابط الخوف المحمود أن يحول بين المرء ومعصية الله



ضابط الخوف المحمود

أخوانا الكرام: ضابط الخوف المحمود، كل شيء له ضابط يضبطه، كما فلنا الخوف إذا تمادى الإنسان بوصله إلى اليأس وهذا لا يجوز، ضابط الخوف المحمود أن يحول بين المرء ومعصية الله، فإذا كنت تخاف من الله خوفاً يمنعك أن تعصيه فيكفيك هذا الخوف، لا تحتاج أكثر منه، لا تقل أنا مقصر بالخوف من الله، ما دام الخوف يمنعك من معصية الله فأنت تخاف من الله حق خوفاً، فإذا وجدت تقصيراً فعد وتذكر ما أعدّه الله لمن عصاه حتى تتزم دائماً بالطريق.

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إنَّ

سلعة الله الجنة" }

(أخرجه الترمذي)

الخوف يدفعك إلى باب الله

من خاف أدلج، الدلجة هي الظلمة، أدلج أي سار ليلاً، ومن أدلج بلغ المنزل، من بلدان العالم يقول لك والله أنا زرت بلاد الشام الأردن وسوريا ولبنان وفلسطين، في الغرب زرت كندا، في المغرب زرت الجزائر، يعني أذكر لك عشر دول زرتهم رأيتهم حتى رأيت عواصمهم فقط وليس البلد بأكمله، فإذا قلت لي ماذا سمعت؟ أقول لك والله سمعت عن استراليا لكني لم أزرها، وَلَا أَدُنُّ سَمِعْتُ، فإذا قلت لي: ماذا خطر على بالك؟ أقول لك والله جاءتني خواطر لا يعلمها إلا الله، فهي ثلاث دوائر، الدائرة الأولى هي دائرة المرئيات، الدائرة الأكبر هي دائرة المسموعات، الدائرة الأكبر هي دائرة الخواطر، فالله تعالى يقول: أَعَدَّدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا حَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ، أبدأ، فانظر إلى رحمة الله،

{ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَعَدَّدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ

وَلَا حَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ دُخْرًا بَلَّهَ مَا أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ }

(رواه البخاري)



الخوف يسرع الطريق إلى الله

فعندما يقول لك الله تعالى: أعطيك جنة، (ألا إنَّ سلعة الله غالية، ألا إنَّ سلعة الله الجنة) أرجع؛ من خاف أدلج، كيف من خاف أدلج؟ الآن أنا إذا قلت لإنسان بأخر هذا الطريق يوجد لؤلؤة ثمينة أسرع إليها، يركض، يعني رجاء بما في نهاية هذا الطريق من جائزة بركض، فالخوف يسرع الطريق إلى الله هذه مهمته، ليست مهمة الخوف أن تقعد، أنا خائف إذا لا أستطيع أن أتحرك، لا أبدأ، أنا خائف فأنهض لتربية أبنائي، أنهض لعمارة الأرض، أنهض للسعي في الأرض، أنهض لأحصل مالا حتى أنفقه في سبيل الله، يفهم بعض الناس الخوف على أنه خوف مَبْنَسٍ، مَقْنَطٍ، لا، فالخوف يدفعك إلى باب الله دفعا أكبر بكثير من الرجاء، وكلاهما يدفعان، لكن الخوف مهم، لذلك (من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إنَّ سلعة الله غالية، ألا إنَّ سلعة الله الجنة) هذه أحوال الخوف.

الرجاء عند السلف الصالح

بالمقابل في الرجاء يقول بعض السلف: "لقد علمت أن ربي يلي محاسنني فزال عني حزني، لأن الكريم إذا حاسب تفضل".



الكريم بتفضل

أنتم بعضكم تجار جالسون جلسات محاسبة، إذا جلست مع إنسان بخيل يحاسبك على الدينار يقول لك: هناك دينار قديم، الكريم تقول له: زاد من حسابك كذا، يقول لك: ليس بيننا، الكريم بتفضل، لا يدقق بالحسابات كثيراً، فإذا حاسب الكريم تفضل، فقال: علمت أن ربي سيحاسبني فزال عني حزني، لأن الأمر عنده جل جلاله، وهو إذا حاسب تفضل، هذا الرجاء في مقابل الخوف.

وقال ابن المبارك: جئت إلى سفیان الثوري عشية عرفة، يوم عرفة، وهو جاثٍ على ركبتيه وعيناه تهملان، قلت له: من أسوأ هذا الجمع حالاً، أسوأ شخص في هذا الجمع في عرفة كلها، فقال: الذي يظن أن الله لا يغفر له، هو أسوأ الجمع حالاً، لأن الله تعالى يقول: (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عِبْدِي بِئْسَ مَا شَاءَ) ومن ظن أن الله يغفر له، غفر له، مع العمل كما قلنا التوازن.

عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: كان كلما دخل دار الخلافة، هكذا ورد في كتب السيرة، تلى قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَقْرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ

(سورة الشعراء: الآية 205-206-207)

متاع الدنيا أمام الآخرة لا قيمة له



الدنيا مقارنة بالآخرة تصبح صفرًا

يذكر نفسه، لأن الإنسان عندما يحتل منصباً، الدنيا تطغي، عندما يكون لديه مال بين يديه، الدنيا تطغي، عندما يكون لديه جاه وسلطة، الدنيا تطغي، عندما يكون صحيح الجسم قد ينسى، فكان إذا دخل دار الخلافة دائماً يتلو هذه الآيات يذكر نفسه (أَقْرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ) متاع لسنوات معدودة، كم سنة؟ ثلاثين، أربعين، خمسين، ستين، سبعين، سنوات، بمقابل الأبد صفر، كيف يعني بمقابل الأبد صفر؟ الأرض تبعد عن الشمس مئة وست وخمسين مليون كيلو متر، إذا وضعنا واحد بالأرض والأصفار للشمس، وكل ميلي صفر، كم هذا الرقم؟ لا يعد، تخيل الرقم، بالرياضيات إذا جئنا هذا الرقم ووضعناه بسط أو صورة لمقام لا نهاية تصبح قيمته صفر لا قيمة له، لأن كل عدد نسب إلى ما لا نهاية أصبح صفر مهما كبر، فالدنيا ماذا فيها؟ إذا وازنتها مع الآخرة تصبح صفرًا، لا شيء، فقال: (أَقْرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ) ما الذي ينفعهم هذا المتاع أمام الآخرة؟ لن ينفعهم شيء، فعمر كان يقرأ هذه الآيات، فترى بها على الخوف من الله، وترى بها على الإيمان باليوم الآخر، فلما حضرته الوفاة ماذا قال؟ قرأ قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تِلْكَ الدَّائِرَةُ الَّتِي تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا قِسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

(سورة القصص: الآية 83)

عاش على الخوف فحتم له بالرجاء، فالإنسان بقدر ما يخاف من الله يأمنه الله تعالى ويؤمته، ويقدر ما يتساهل في الخوف من الله، بعض الناس سامحوني يعني تقول له: هذا خطأ، يقول لك: لا تدقق ربك غفور رحيم، هذه التي لا يحبها الله، المعصية كلنا ذو خطأ، من منا لا يعصي؟! وكلنا ذو خطأ، لكن من هو أسوأ حالاً من العاصي؟ هو الذي لا ينتبه إلى معصيته ويظنها قليلة، لذلك ورد:

"لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر على من اجترأت"

الموضوع ليس في أنه ذنب صغير، الموضوع في أنك عصيت رباً عظيماً، أنت اجترأت على حرمٍ من حرمات الله مهما كان الذنب صغيراً، فإذا عظم الذنب في عينك هان عند الله، وإذا هان الذنب في نظرك عظم عند الله، فاجتر بينهما، فالشخص الذي يقول لا تدقق وربك غفور رحيم، وربك لن يخاسبنا، ونحن أمة محمد مرحومة، هذا جهل، أما المؤمن يخاف من ذنبه، لذلك ورد:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتِ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ الْقَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَثْفِئَةٍ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا ، قَالَ أَبُو سَيْهَابٍ :
بِيَدِهِ قَوْقٌ أَنْفِهِ }

(صحيح البخاري)

لم يحدث شيء، ذباية وقفت فكشها، المؤمن يعظم الذنب عنده فيصغر الذنب عند الله، بينما المنافق يصغر الذنب عنده فيعظم الذنب عن الله، "لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر على من اجترأت".

ضابط الرجاء المحمود أن يكون مع العمل



ضابط الرجاء المحمود أن يكون مع العمل

إذا قلنا أخوانا: ضابط الخوف المحمود أن يمنعك من المعصية، إذا ما ضابط الرجاء المحمود؟ الرجاء المحمود أقصد هناك رجاء غير محمود مذموم، الرجاء الذي ليس له حدود كله تمام والامور كلها تمشي وهو يعصي الله، فضايط الرجاء المحمود أن يكون مع العمل، ما دام هناك عمل فالرجاء محمود، بالعكس مطلوب أن ترجو رحمة الله لأنك تعمل وتقدم ما بوسعك، فما دام هناك عمل صدقة، صلاة بوقتها، تربية أولاد، نفقة، صلاة نافلة، صيام، عبادة، طاعة، فالرجاء محمود، فإذا ترك الإنسان العمل واتجه إلى الرجاء وحده فهذا رجاء مذموم، فضايط الخوف المحمود أن يحول بينك وبين معصية الله، وضابط الرجاء المحمود أن يرافقه العمل، أما ترك العمل مع التماس في الذنوب فهو جهل مطبق، يتمادي في الذنوب ويترك العمل ويقول أنا أرجو رحمة الله فهذا جهل مطبق، لأن الله تعالى يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ

(سورة الأعراف: الآية 56)

رحمة الله قريبة لكن ممن؟ من المحسنين، والإحسان هو مُطلق العطاء، فالإنسان يحسن في ماله، ويحسن في رعاية بيته، ويحسن في عبادته، ويحسن في عمله فيتقنه،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ

(سورة السجدة: الآية 7)

يعني اتقن العمل جل جلاله، فإذا كان هناك إحسان (إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ).

ملخص المحاضرة

إذاً أخوان الكرام: ملخص ملخص الموضوع حتى نجمع شتاتنا ونستفيد منه إن شاء الله، الخوف مطلوب والرجاء مطلوب وهما كجناحي طائر يطير الإنسان إلى الله بجناحي الخوف والرجاء، ورأس الطائر هو الحب فالحب هو الأصل في تعاملنا مع الله (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ

(سورة المائدة: الآية 54)

بني علاقتنا معه على الحب، ولو أراد أن يبنينا على القسر لبنانا لكنه قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ

(سورة البقرة: الآية 256)

يريدنا أن نأتيه حباً فنحن نأتي إلى الله حباً، ولكن نأتي إليه راجين رحمته، نخشى عذابه، نُغَلِّبُ جانب الرجاء إذا شعرنا أننا تهاونا وإذا شعرنا أننا اقتربنا من اليأس ونغلب جانب الخوف إذا شعرنا أننا تمادينا نسأل الله السلامة في المعاصي، فالخوف مطلوب والرجاء مطلوب نصبط الخوف بأن يمنعنا من المعصية، ونصبط الرجاء بأن يكون معه عمل بقدر الطاقة والإنسان لن يبلغ العمل كله لكنه يسعى وببذل جهده في ذلك.

والحمد لله رب العالمين